جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثالثة

المادة : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي

عنوان المحاضرة: الخليفة المنصور وتثبيت دعائم الدولة العباسية

أسم التدريسي : أ.د. صباح جاسم حمد

الإيميل الجامعي للتدريسي : sabah_jasim@tu.edu.iq

أبو جعفر المنصور ١٣٦هـ –١٥٨هـ

أيامه وصفاته: هو عبد الله بن محمد بن علي العباسي القرشي الهاشمي، أبو جعفر المنصور. ولد في الحميمة بالشام عام ٩٥هـ. نشا وترعرع في وسط المجتمع الهاشمي، ورحل في طلب العلم وهو شاب، وتفقه في الدين ونال قسط من علم الحديث، فنشأ أديبا فصيحا ملما بسير الملوك.

ولما أفضت الخلافة الى أخيه أبي العباس السفاح كان ساعده الأيمن والأشد في تدبير أمور الخلافة، فولاه الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، ووجهه الى خراسان لأخذ البيعة له، كما عهد اليه بالخلافة من بعده. توفى السفاح وكان أبو جعفر في الحجاز أميرا على الحج، فأخذ له البيعة ابن أخيه عيسى بن موسى في الأنبار.

تولى أبو جعفر المنصور الخلافة والأخطار لا تزال محدقة به فقد كانت دعائم الدولة غير مستقرة لكثرة أعدائها. فكان يدرك شجاعة وطموح عمه عبد الله بن علي ومركزه الحصين في جيشه بأن يؤول أمر الخلافة اليه نضير ما قدمه من خدمات في القضاء على الأمويين وقتله مروان بن محمد وتأييد الجيش له.

وكان المنصور يخشى سلطان أبي مسلم الخراساني ويسيء الظن به. وتتضح نظرته في هذا الصدد من محاورة جرت بينه وبين أخيه سنة ١٣٦ هـ حين قدم أبو مسلم للحج، فقال أبو جعفر للسفاح: (يا أمير المؤمنين اقتل أبا مسلم، فو الله إن في رأسه لغدرة).

وكان هناك خطر آخر يتمثل بوجود العلويون من آل الحسن رضي الله عنهم الذين يرون أنهم أولى بالخلافة، وهناك من يؤيدهم لذلك امتنعوا عن البيعة لأنهم كانوا ينافسون بني العباس في الملك. فضلا عن حذره من عدم ولاء أهل الكوفة للعباسيين، فكيف واجه المنصور كل هذه المشاكل ودولته ما زالت في دور

النمو؟.

لقد كان المنصور بإجماع المؤرخين يجمع الجرأة وبعد الهمة والدهاء في مواجهة خصومه. فقد كانت له مهارة وذكاء في ضرب خصومه بعضهم ببعض بأقرب وأسلم وسيلة.

ويرى المؤرخ عبد العزيز الدوري بأن القسوة في تلك الحقبة كانت ضرورية لتثبيت دعائم دولة حديثة.

المشاكل الداخلية

أولا: ثورة عبد الله بن علي

كان عبد الله بن علي وهو عم المنصور واليا على الشام، وله سجل حافل بالإنجازات الكبيرة في تثبيت سلطان الدولة الجديدة، فهو الذي قاد الجيش العباسي في معركة الزاب ولاحق مروان الى مصر، وضبط الأمور في الشام في السنوات الأولى من حكم العباسيين فكان من الطبيعي أن يكون طموحه كبيرا بالخلافة فهو من أقدر شخصيات البيت العباسي.

خشي أبو جعفر من طموحات عمه الذي كان قد خرج غازيا البيزنطيين على رأس جيش ضم عددا كبيرا من الجند. ولما وصل الى دلوك بنواحي حلب علم بوفاة السفاح وبيعة الناس للمنصور. فتوقف عن الزحف ورحل الى حران فاجتمع بأركان حربه وجنده وطلب منهم أن يبايعوه، وأدعى أن أبا العباس جعل له العهد حين أرسله لقتال الخليفة الأموي مروان بن محمد. فبايعه القواد والجند على ما أراد، وكان عامة جيشه من أهل الشام وهم يتمنون اضطراب أحوال العباسيين

ويأملون أن ترجع السلطة اليهم.

تصرف المنصور تجاه هذا الخطر تصرفا حكيما، فندب أبا مسلم الخراساني لقتال عمه وهو يأمل في أن يتخلص من أحدهما، مظهرا بذلك براعة سياسية عظيمة لضرب أعدائه بعضهم ببعض. ولم يكن أبو مسلم راغبا في محاربة عبد الله الذي كان جيشه يضم عددا من الخراسانيين. وكان المنصور يستميلهم بإرسال أبي مسلم الذي قال للخليفة حين أبدى مخاوفه من حركة عمه عبد الله: (أنا أكفيك أمرهم، إنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان وهم لا يعصوننني).

وما أن علم عبد الله بن علي بخروج الجيش العباسي حتى أخذ الاستحضارات اللازمة لذلك. فنزل مع رجاله فحفر خندقا من جبل نصيبين الى نهرها وخندق خلفه، وجعل فيه كل ما

يحتاج اليه من العدة والآلة. ثم نصب المجانيق والوادات وبث الحسك وسد الطريق على من يقصده من العراق، وجعل بذلك كل القرى والمناطق المزروعة خلفه وامتدادا له.

أقبل أبو مسلم متجها نحو الشام فرأى مناعة وحصانة خصومة، فقدر صعوبة تحقيقه النصر. لذا لجأ لاستخدام الحنكة والدهاء ليفرق شملهم. فكتب الى عبد الله بن علي: (بأنه لم يؤمر بقتاله ولم يوجه لذلك بل ان الخليفة ولاه الشام وانه ذاهب اليها).

تحقق لأبي مسلم ما أراد لأن جند الشام ما إن علموا أن أبا مسلم زحف نحو مدنهم حتى أخذوا يطلبون من قائدهم عبد الله بن علي بضرورة التحرك نحوها للحيلولة دون وصول أبي مسلم اليها لخشيتهم على أهلهم وأموالهم من الخراسانيين. فجهد عبد الله ليوضح لمن معه من جند الشام بأن تلك خديعة من أبي مسلم وان غايته إخراجهم من مواقعهم الحصينة، لكنهم أصروا على الرجوع الى الشام. عند ذلك لم يكن أمام عبد الله إلا أن يرتحل من موقعه ملبيا رغبة جنوده، فأستغل أبو مسلم هذا الانسحاب وخندق مكان خصمه وخرب معسكره. وبلغ عبد الله خبر نزول أبي مسلم بمعسكره، فعاتب أهل الشام على ما كان منهم وحاول العودة الى معسكره فلم يستطيع فعسكر قريبا منه.

استمرت الحرب سجالا بين أبي مسلم وعبد الله حوالي خمسة شهور، تمكن من خلالها أبو مسلم بدهائه السياسي والعسكري من الاتصال ببقية أهل خراسان في جيش عبد الله الذين بدؤوا بالانسحاب منه شيئا فشيئا. خاصة بعد أن ارتكب عبد الله خطأ جسيما عندما قتل الكثير من أفراد جيشه الخراسانيين بسبب خوفه من انشقاقهم عنه ساعة الحرب.

تمكن القائد العسكري الكبير حميد بن قحطبة من الهرب وذلك بعد أن عزله عبد الله بن علي بسبب شكه بولائه له. فخاف حميد من أن يقتله عبد الله فهرب الى أبي مسلم، مما أدى الى ضعف واضح في جيش عبد الله الذي خسر قائدا محنكا ومطلعا على خططه ونقاط ضعفه. عاما ان جيش عبد الله كان أكثر فرساناص وأكمل عدة، لكن أبا مسلم لجأ الى الخدعة في قتالهم بتحريك جيشه من مكان الى آخر في ساحة المعركة، فخدع أهل الشام بهذا التحرك، فتمكن جيش أبي مسلم من الانقضاض عليهم والاستيلاء على معسكرهم.

خسر عبد الله المعركة وهرب الى البصرة ملتجئا الى أخيه سليمان بن علي والي البصرة واختفى عنده. وقد أمر أبو مسلم قواده بعدم اللحاق بعبد الله. وهكذا أعطاه فرصة للنجاة والاختفاء مما أزعج الخليفة. وبعد فترة سلمه سليمان الى أبي جعفر وذلك سنة ١٣٩ هـ بعد أن أخذ له أمانا، فسجنه المنصور ثم تخلص منه بعد تسع سنين.

ثانيا: المنصور **والعلويون**

أدرك العلويون أن العباسيين أبناء عمومتهم قد غرروا بهم حينما استغلوا نشر الدعوة تحت شعار (الرضا من آل البيت) ثم استحوذوا على الخلافة دونهم مع أنهم أحق منهم لاعتبار أنهم أبناء الخليفة علي رضي الله عنه وأبناء فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم ولهم أحقية دينية في ذلك.

كان المنصور يخشى طموح العلويين خاصة بني الحسن، فإنهم ما برحوا في كل أدوار حياتهم يتطلعون الى نيل حقهم بكل وسيلة للوصول الى الخلافة، فان وجدوا الفرصة سانحة اغتنموها، وإن آنسوا من أنفسهم ضعفا ركنوا الى الهدوء.

وبعد وفاة زيد بن علي سنة ١٢٢ هـ لم يبق من العلويين إلا شخصيتان رئيسيتان، هما الإمام جعفر الصادق من الفرع الحسيني وعبد الله بن الحسن المحض من الفرع الحسني. وكان الصادق مسالما لا يؤمن بشهر السلاح ضد السلطة، مما أعطى الفرصة للمحض ليجمع حوله العلويين الذين يؤمنون بوجوب الثورة. وقد ساعده في ذلك نسبه الشريف النقي لأنه يعود الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها من جهة الأم والأب ولذلك سمي المحض، وكان ذا نفوذ كبير في الحجاز والمدينة ومشهورا بقوة بيانه وسحر لسانه، ولكن طموحه لم يكن شخصيا بل كان يهدف الى طلب الخلافة الى ابنه محمد ذي النفس الزكية منذ زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ.

بدأ الشرخ يكبر بين الفريقين، وبدأ الإحباط واضحا في نفوس العلويين وأتباعهم، خاصة بعد أن أعلن الخليفة السفاح في خطبة له في الكوفة أن الخلافة عباسية وستبقى عباسية، وأن ليس لأحد أي حق فيها، قاصدا بذلك الطالبيين.

لقد كانت صفات محمد بن عبد الله (النفس الزكية) تؤهله لتولي الخلافة، فهو من سادات بني هاشم ومن مقدميهم في الفضل والشرف والعلم، مستحليا بالصفات الحميدة والخصال الكريمة، وكان زاهدا ولذلك سمي بالنفس الزكية وبالمهدي. وفوق كل هذا فانه لم يكن ميالا لسفك الدماء وظلم الناس بل اشتهر بالعفو والعفة. ومما زاد من حماسة وقوة أنصاره في البداية موقف الإمام مالك بن أنس إمام أهل السنة المؤيد له، فقد أفتى بنقض بيعة المنصور وصرح للناس بأنهم بايعوه مكرهين وليس على مكره يمين.

ولما تسلم المنصور الخلافة امتنع الأخوان محمد وإبراهيم عن مبايعته، وأقاما في الحجاز في مكان سري، وكان محمد يتمتع بعلاقات طيبة ومحبوبا لدى أهل الحرمين. فبث دعاته الى الأمصار يدعون له، فمضى المنصور في استطلاع أخبارهم وتحركاتهم، ولم يكن همه إلا طلب محمد ومسائلته عما يريد.

عمل المنصور بجهد على وئد ثورة محمد قبل نشوبها، لذلك قام بزيارة الحجاز مرتين سنة ١٣٦ هـ وسنة ١٤٠ هـ للحج وللوقوف عن كثب على الجو السياسي المضطرب هناك، فطلب من عبد الله المحض والد النفس الزكية أن يخرج أولاده محمد وابراهيم وهدده بالسجن، إلا أن المحض لم يخضع لضغوط المنصور. عندها أدرك المنصور أنه يجب اتباع سياسة جديدة لإخماد الثورة، فأرسل عيونا وجواسيس على هيئة تجار أو أعراب تظاهروا بالولاء للعلويين ليفتشوا عن محمد وأخيه في أحياء المدينة وبين قبائلها.

استمر المنصور بتقصي أخبار محمد وأخيه فأرسل عقبة بن سلم متظاهرا بأنه بائع عطر، وكذلك العبيد سخرهم ليتحسسوا أخباره في أنحاء الحجاز التي كانت متعاونة مع محمد، وكذلك الوالي زياد الحارثي مرنا مع العلويين مما اضطر المنصور لتغييره وجعل محمد بن خالد القسري مكانه.

ولما لم يعثر عليهما لجأ المنصور الى المناورة السياسية، فدعاه الى حل الخلافات بينهما سلميا ليكسب الوقت، ودخل من أجل ذلك في سلسلة من المراسلات معه، حيث أخذ كل فريق يشرح وجهة نظره وحقه في الخلافة ويتفاخر بنسبه وحسبه. واتخذ أبو جعفر في الوقت نفسه التدابير الضرورية لعزل الحجاز عن باقي الأمصار لقطع الميرة عنه من الشام ومصر،

حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع وبذلك أقحط الأقوات وصد الناس عن دعوته، ثم ارتحل الى الكوفة وهي مهد العلويين فأحكم قبضته عليها، وأعلن حالة الطوارئ محددا التجول لساعات معينة في النهار، كما نجح في دفع الخراسانيين عن مساندته.

استمر المنصور في مراسلاته وقتا طويلا دون كلل، وكل فريق يرمي بحججه على الأخر بأنه الأحق بالخلافة، ثم اتجهت نحو التصعيد والاصطدام العسكري. هنا أيضا يستعمل المنصور دهائه ويفسد على محمد خططه، فدس له عيونا، فمضى هؤلاء يكيدون لمحمد مدعين بأنهم من أتباعه ليطلعوا على حقيقة خططه عن كثب، وليغيروا الحقائق عليه، فأوحوا اليه بأن دعوته قد عمت الأقطار.

لم يكتف المنصور بذلك بل انه أخذ يكتب اليه (الى محمد) على ألسن قواده (قواد المنصور) يدعونه الى الظهور ويعلمونه بأنهم معه. ولذلك اعتقد محمد النفس الزكية آنذاك أن ظروف خروجه باتت مواتية بفعل عدة عوامل من أهمها تضييق العباسيين عليه، وقيام المنصور بالضغط على أسرته لتسليمه مع أخيه، كذلك اعتراف كثير من الناس بإمامته خاصة أهل الحجاز. فضلا عن تأييد الأئمة والفقهاء وعلماء الحديث للنفس الزكية ومنهم الإمام أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس الذي أفتى بجواز بيعته ونقض بيعة المنصور، فضلا عن إلحاح أصحابه عليه بالخروج بعدما سئموا الانتظار.

وبعد فشل المراسلات أرسل المنصور عيسى بن موسى وهو قائد عسكري من الطراز الأول الى المدينة في جيش عظيم، وكان من المناسب في أزمة من هذا النوع أن يرسل الخليفة هاشميا ليقود الجيش وبذلك يواجه هاشميا بهاشمي مثله. وهذا الإجراء من شأنه أن يلعب دورا في الحرب النفسية كي يكون له نفوذ معنوي كبير في نفوس جنده، وكذلك ليشعر قواد جيش محمد أن الجيش المقابل سيكون هاشميا كذلك.

كانت رغبة المنصور في التخلص من عيسى بن موسى (الذي كان ولي عهده) حملته أن يوليه قيادة الجيش، وهذا يؤيد ما قاله المنصور سابقا: (لا أبالي أيهما قتل صاحبه).

ومن كل تلك الأسباب اعتقد محمد بأنه أصبح أقوى من المنصور فأعلن ثورته وظهر في المدينة عام ١٤٥ هـ وتلقب بأمير المؤمنين، في حين ذهب أخوه إبراهيم الى البصرة ليرفع

لواء الانتفاضة فيها. وبدأ العلويون بارتداء البياض وظهر ما كان خافيا على المنصور وعرف أن المدينة هي قاعدة محمد النفس الزكية ومنطلقه، فركز اهتمامه على الحجاز لمنع انتشار دعوته.

كان محمد النفس الزكية بطلا شجاعا مقداما، إلا إن الذي ينقصه هو بعد النظر والخبرة العسكرية والقدرة على المناورة. فقد أرسل قوة من جنده للسيطرة على مكة وبذلك أبعدها عنه في وقت كان في أشد الحاجة اليها.

بدأ محمد خطته العسكرية باتخاذ احتياطاته في الدفاع عن المدينة مركز قوته وأتباعه، فحفر خندقا حول المدينة اقتداء بأثر الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب، فارتكب بذلك خطا عسكريا فادحا، فقد حاصر نفسه وجنده داخل بقعة جغرافية صغيرة، وأتم بذلك الحصار الاقتصادي عليه باعتبار أن الحجاز قطر قاحل فقير في غلاته وتعتمد اقتصاديا في التموين على مصر وسوريا، والتي كان المنصور قطع الطريق عليها من البر والبحر.

وما أن وصل عيسى بن موسى المدينة في رمضان سنة ١٤٥هـ، وكان قائدا عسكريا محنكا وكفاءة إدارية بارعة. فدخل في مراسلات ومكاتبات سرية مع كبار الشيوخ والمتنفذين من قريش ومن العلويين، فترك الكثير منهم المدينة وانضم قسم منهم الى معسكر عيسى فأضعف بهذا صفوف العلويين.

وسرعان ما وجد محمد نفسه يواجه الكثير من المتاعب بفعل عدة عوامل، أهمها: أنه كان متفقا مع أخيه إبراهيم أن يخرج في البصرة بنفس اليوم الذي يخرج هو فيه بالمدينة، ولكن ابراهيم لم يخرج في اليوم المحدد له بسبب مرض أصابه، ومحمد خرج نتيجة للضغوط عليه مما أفقده عنصر التنسيق الضروري للنجاح، فأعطى للمنصور فرصة جيدة استغلها لضرب الأخوين كلا على حدة اثم حدثت المعركة الفاصلة، وكان مع محمد القليل من الأنصار من قبيلة جهينة وبنو شجاع الذين قاتلوا بكل بسالة وحماس لتفانيهم بالدفاع عن ثورتهم، ولكن جيش محمد كان صغيرا وإمكاناته متواضعة أمام الجيش العباسي الذي كان منظما ومدربا تدريبا جيدا فضلا عن التجارب التي خاضها الجيش الخراساني المشهود له بالعدد والقوة. ثم ثار أخوه إبراهيم بن عبد الله في البصرة، بعد أن مكث فيها منذ عام ١٤٣ هـ يدعو سرا متنقلا بين القبائل، فانتشرت

دعوته وكسبت أنصارا كثيرين بفضل مصاهرته لمحمد بن عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد كان في البصرة الكثير من العثمانية، كما انضم الى دعوته الكثير من الزيدية.

استولى ابراهيم على البصرة وتوابعها والأهواز وفارس وواسط، وأحرج المنصور الذي كان له جيش قليل في البصرة مما دعاه أن يأمر عيسى بن موسى بأن يترك المدينة ويتوجه الى البصرة لقتال إبراهيم، كما انه منع الناس في الوقت نفسه من الخروج من الكوفة والدخول اليها، وفرض الأحكام العرفية العسكرية فيها.

لما جاءت الأخبار إبراهيم بقتل أخيه، دعا لنفسه بالخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وبايعه أتباعه على ذلك، ثم تقدم عيسى نحو الكوفة. وحدثت المعركة عند باخمري وكادت الهزيمة تلحق بالجيش العباسي، وبدا النصر قاب قوسين أو أدنى من العلويين، لولا أن تغير وجه المعركة فجأة عندما أصيب إبراهيم بسهم في عنقه أودى بحياته، فاضطرب نظام جيشه وارتبك، فشن الجيش العباسي هجوما مضادا حسم به المعركة. وهكذا استطاع المنصور أن يفلت من خطر زلزل ملكه وكاد يقضي عليه